وقد اجتمعوا له وهم لا يشكون في استئصال ساقتهم وابادة خضرائهم ما تظنون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم فان تعف فذاك الظن بك وان تنتقم فقد اسأنا فقال صلى الله عليه وسلم اقول كما قال اخي يوسف عليه السلام لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا فانتم الطلقاء قال صلى الله عليه وسلم اللهم انك اذقت اول قريش نكالا فاذق آخرها نوالا وخدم صلى الله عليه وسلم انس عشر سنين فما قال له اف قط ولا قال لشيء صنعه لم صنعته ولا لشيء تركه لم تركته وهبط ثمانون رجلا من التنعيم صلاة الصبح ليفتكوا بالنبي صلى الله عليه وسلم فاخذوا فاعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانزل الله وهو الذي كف ايديهم عنكم وايديكم عنهم الآية وحفظه صلى الله عليه وسلم للعهد ووفاؤه بالوعد فقد كان من ذلك بالمحل الاسنى ما نقض لمحافظ عهدا ولا اخلف لمراقب وعدا فابتداء معاهديه بنقض عهدهم حتى استنزه فجعل الله له في ذلك مخرجا كفعل اليهود من بني قريظة وبني النضير وكفعل قريش بصلح الحديبية فكان نحبهم فيه الخيرة له فلما تكاملت اوصاف خلقه وخلقه فضله الله على جميع خلقه ولذلك بعثه اليهم رسولا وجعله عصا لحجهم كفيلا فنقلهم من ظلمة الكفر الى نور الايمان ونقذ الخوف الى عز الامان صلى الله عليه وسلم وحاز كمال الاقوال بما اوتيه من الحكمة البالغة وبما اطلعه الله عليه من قصص الانبياء عليهم السلام مع الامم وباحكامه للشرع باظهر دليل وبما امر به من مكارم الاخلاق وبوضوح جوابه اذا سئل وبانه معصوم اللسان من تحريف في قول وبتحرير كلامه في التوخي به ابان حاجته وبانه صلى الله عليه وسلم افصح الناس لسانا اماما واوتيه من الحكمة البالغة واعطيه من العلوم الجمة القاهرة وهو امي من امة امية لم يقرا كتابا ولا درس علما ولا صحب عالما ولا معلما فاتى بما بهر العقول واذهل الفطن من اتقان ما ابان واحكام ما اظهر ومع ذلك لم يعثر عليه فيه بزلل من قول او عمل فذلك من خوارق العادات واظهر المعجزات فلقد بلغ من العلم والحكمة ما لا يبلغه بشر بقواه يتحقق ذلك من تتبع مجاري احواله وطالع جوامع كلمه كعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسة الانام وتقرير الشرائع وتاصيل الاداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ اهلها كلامه فيها قدوة واشارته حجة وكله من غير تعلم سبق له من احد من الخلق بل شرح الله صدره وابان امره وعلمه واقراه وانضم الى ذلك ما علمه الله واطلعه عليه من علم ما كان وما يكون قال تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في تقدير فضله عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه فلذا صار للامة هاديا وفي الملة كافيا واما ما اطلعه الله عليه من قصص الانبياء مع الامم واخبار العالم في الزمن الاقدم فلم يعزب عنه منها صغير ولا كبير ولا شذ عليه فيها قليل ولا كثير وهو لا يضبطها بكتاب يدرسه ولا يحفظها بحاو يجرسه واما احكامه للشرع باظهر دليل فقد بينه باوضح تعليل حتى لم يخرج منه ما توجبه العقول ولا دخل فيه ما يدفعه المعقول ولذا قال اوتيت جوامع الكلم واختصرت لي الحكمة اختصارا فعبر باللفظ القليل عن المعنى الجليل

فلق

تكف عن الاطالة وكشف عن الجهالة وما تيسر له ذلك الا وهو عليه معان واليه منقاد وفيه مصان حتى استوعب لما اختص واستكمل حين اقتص فصار الايجاز كالاعجاز واما امره صلى الله عليه وسلم من مكارم الاخلاق ودعا اليه من محاسن الاداب فذلك باب واسع غيثه هامع لحثه على صلة الارحام وندبه الى التعطف على الضعفاء والايتام ونهيه عن التباغض والتحاسد والكف عن التقاطع والتباعد فقال لا تقاطعوا ولا تدابروا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخوانا واما وضوح جوابه اذا سئل وظهور حجاجه اذا جودل فكان من ذلك في الغاية القصوى لا ياخذه عي ولا يقطعه عجز ولا يعارضه خصم في جدال الا كان جوابه اوضح وحجاجه اقوى وارجح جاءه ابي بن خلف بعظم نخر من المقابر قد صار رميما ففركه حتى صار كالرماد ثم قال يا محمد انت تزعم انا وآباؤنا نعود اذا صرنا هكذا لقد قلت قولا عظيما ما سمعناه من غيرك من يحيي العظام وهي رميم فانطق الله رسوله ببرهان نبوته فقال يحييها الذي انشاها اول مرة وهو بكل خلق عليم فانصرف مبهوتا ولم يحر جوابا ولما قال لا عدوى ولا طيرة قال اعرابي ما بال الابل في المرعى كانها الظباء فيجيء البعير الاجرب فيدخل فيها فيجربها كلها قال فمن اعدى الاول فاسكته وما هذا الا من عبارة فهم وحدة وهم حتى اعطته البديهة غاية الفكرة واظهرت البادرة كمال الروية واما عصمة لسانه من تحريف في قول او استرسال في خبر يكون الى الكذب منسوبا فلم يزل صلى الله عليه وسلم بالصدق مرقوما وبالامانة موسوما وكانت قريش باسرها تتيقن صدقه قبل الاسلام فجهروا بتكذيبه في استدعائهم اليه فمنهم من كذبه حسدا ومنهم من كذبه استبعادا ان يكون لله رسولا ولو حفظوا عليه كذبة نادرة غير الرسالة لجعلوها دليلا على تكذيبه في الرسالة ومن لزم الصدق في صغره كان له في كبره الزم ومن عصمه الله في حق نفسه كان في حقوق الله اعصم وحسبك بهذا دفعا لجاحد ورد المعاند واما تحريره كلامه في التوخي به ابان حاجته والاقتصار منه على قدر كفايته فكان ذلك دابه وفيما عدا الحاجة والكفاية اجمل الناس صمتا واحسنهم سمتا ولذلك حفظ كلامه حتى لم يختل وظهر ونفذ حتى لم يعتل واستعذبته الافواه حتى بقي محفوظا في القلوب مدونا في الكتب ولا يسلم الاكثار من زلل ولا الهذر من ملل وقد نقل ان اعرابيا اكثر عنده الكلام فقال يا اعرابي كم دون لسانك من حجاب فقال شفتاي واسناني فقال صلى الله عليه وسلم ان الله يكره الانبعاق في الكلام فنضر الله وجه امرئ قصر من لسانه واقتصر على حاجته وبالكلام ينكشف اسرار الصدور ويظهر غوامض الامور فالعقل به معتبر والفضل به مختبر واما كونه صلى الله عليه وسلم افصح الناس لسانا واوضحهم بيانا واوجزهم كلاما واجزلهم الفاظا واظهرهم معاني فما لا يمتري فيه من سمع كلامه ومع ذلك لم يظهر في شيء من كلامه هجنة التكلف ولم يتخلله فيه قد التعسف ولذا وصف كلامه بانه قد حف بالعصمة ووزن بميزان الحكمة والقيت عليه المحبة وغشي بالقبول فلم تسقط له كلمة ولا بارت له حجة ولقد كانت فصاحة لسانه وبلاغة قوله سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع

Copyright © King Saud University